الباب الأخير

بقلم راشد الفهد

5355787

rekaaz.com

ركاز

البـــاب الأخيـــر .. !!

استيقظ فهد على صوت الهاتف المزعج ولعلع صداه غرفة انتظار مستشفى الولادة، حيث كان فهد مستلقياً بظهره على الكرسي وأرجله بالكرسي الآخر ليغفو دقائق..

– آلو، هلا عبير بشري.

– أبشرك يا فهد سماهر بخير والله رزقك بولد بكامل صحته، مبروك مبروك

سمع فهد هذه البشرى بعد خمسة عشر عاماً من الانتظار، ذهب يمشي مسرعاً في ممرات المستشفى لغرفة سماهر زوجته التي رافقته طيلة هذه المدة وكان أملهم في هذه الحياة أن يرزقهم الله بذرية صالحة.

واصل المشي مسرعاً ولكن سرعان ما اكتشف أن خطواته بدأت بالركض وشعر بأن خده مبللٌ ولم يستغرب بأنها دموعه التي بللته بفرحها.

التقى أخته عبير عند باب الغرفة حين منعته من الدخول بحجة أن سماهر لا تزال بتأثير المخدر.

■ ■ ■

بعد ساعات قليلة أفاقت سماهر ورأت أمامها فهد حينها أبتسمت وحمدت الله على ما رزقها وشعرت بفخر على ما حدث هذا النهار، أقترب فهد منها أطبق بكفيه على كفها الأيمن وجلس بقربها..

– بالطبع يشبهك !!

– لا بل جميل كأبيه..

وهنا تنطلق عبير كيف تقولون ذلك فأنت يا فهد كنت في غرفة الإنتظار وأنتِ يا سماهر كنتِ تحت تأثير المخدر، كيف شاهدتم الطفل؟

سماهر هذه الإنسانة الرقيقة كم يحبها فهد، والتي رغم كل هذه السنين حين فقدوا الآمل بإنجاب الأطفال، واتهم الأطباء فهد بأنه سبب ذلك، لكنها أصرت على البقاء بجانبه لحبها له...

تعود عبير للسؤال، ماذا تقترحون أسماً لطفلكم؟ فلا تنتظر ردهم وتجيب بأن أسم علي جميل، فقالت سماهر أبي أسمه حسن وأفضل هذا الأسم، ولكن تظهر النزعة الذكورية في فهد ويصدر قراراً بأن أسم الطفل بندر على أبيه ... ورضخ الجميع لهذا القرار.

بندر الوسيم كان هبة من الله لهذين الأبوين، فهد الذي بلغ عمره ٣٥ عاماً و سماهر التي تقاربه العمر، كان كالقطعة الثمينة التي تتجول في المنزل، يرغبون بتغليفة وحفظه في خزائن وسراديب لا يصلها أحد، كان يأمر فقط وبعدها تأتيه طلباته بل وتزيد عن حدها، ترعرع فهد في هذه الأحضان وتوالت السنين، ذات يوم في رحلة لشاليه العائلة كان بندر يبلغ من العمر أربع سنوات لا يفارق عين والدته، وإن فارقها فلا تهدأ حتى تضمه سماهر بأحضانها وتغلق أبواب قلبها عليه، أنشغلت سماهر بأحاديث جانبيه مع بعض النسوة فخرج بندر الطفل من باب الدار متوجهاً لساحة الشاليه، هو ذلك الشاليه الذي تفضله سماهر لأنه يحتوي على حوض سباحة صغير بخلاف الشاليهات الأخرى التي بها أحواض عميقة ومخيفة، خرج بندر مسرعاً للساحة حيث مكان الحوض ، ألتفتت سماهر تبحث عن قلبها فلم تجده فصاحت بإسمه وخرجت مسرعه ووجدت ملابسه الحمراء الجديدة تطفو فوق سطح الحوض الصغير، سقطت على ركبتيها تحاول أن تسحب الجثة التي بداخل هذه الملابس، فسحبته ووضعته بجانب الحوض وهو يغرغر بالماء ويلفظ أنفاسه الأخيرة، صاحب غرغرته صيحة سماهر بالنجدة وجلست تشد بشعرها الحريري الذي طالما داعبها بندر أبنها وهو نائم ، ونزلت دموع من محاجر لم تعرف حرارة بقدر هذه الحرارة التي خرجت لبندر، شعرت بأن بندر هو ذلك الجزء المهم في الجسم وبفقده نفقد معه الحياة.

خرج الرجال مسرعين من المجلس على صوت سماهر وشاهدوا الطفل يلفظ أنفاسه الأخيرة، حملوه مسرعين لأقرب مستشفى، سقطت سماهر وسقطت معها أحلام رسمتها على ملامح السراب لهذا البندر، صوت الهاتف كان ذبذبه جديدة تنبض في قلب الأم هذه الكتلة من الحنان، وكان مع هذه الذبذبه بشرى لمن يجاور سماهر ويطببها من النساء بأن بندر أستعاد وعيه ويحتاج لعدة ايام في المستشفى ويكون على أتم حال وهذا بفضل الله عز وجل ثم بفضل من أنقذه بأسرع وقت، من غيرها التي أخرجته بسرعه، هي فقط ((حلوة اللبن)) التي أنجبته.

شب بندر في أجواء مليئة بخدمة الـ VIP ، كيف لا وهو ذلك الشيء النفيس في هذا المنزل، كبر وكبرت أحلام والديه معه ...

كلمة لأ، كان لا يعرفها بندر، كانت كلمة تجعله يستعمل أساليب أخرى للقضاء عليها بسلاح (الحب) فكان يملك ذخيرة ضخمة من الدلال لتزويد سلاحه كلما احتاج إلى رماية الوالدين المحبين، بندر الذي أصبح مراهقاً، وجد بأن كلمة لأ بدأت تتسلل لحياته، رويداً رويداً تمنعه من رغباته العارمة، سهر ، سفر، أصدقاء لا يعرفهم الأب ولا تعرف أهلهم الأم، تصرفات جديدة يتصرفها هذا المراهق، (كم نشعر بغرابة ما قمنا به في مراهقتنا !!)، يحاول فهد الجلوس مع أبنه بندر لوقت قصير ولكنه لا يستطيع لكثرة مشاغل أبنه، والذي جدوله يتكون من (ازدحام فارغ)، أبو بندر لا يهون عليه منع أبنه من سعادته الظاهره على وجنتيه عند خروجه من المنزل مسرعاً بعد تبديل ملابسه، فهذه اللحظة الوحيدة التي يتمتع فهد بمشاهدة أبنه يتحرك أمامه، فقد طرق فهد باب الخامسة والخمسين من العمر وأصبح يقول لنفسه، لعلي أجهل تفكير هذا الجيل، وحين تعاتبه أم بندر يجيبها بأننا لا نستطيع التفاهم معهم لاختلاف التفكير والثقافات المختلفة بين الأجيال، تدنو سماهر من فهد لتقول له كائننا الجميل كبر وقد كبرنا نحن كذلك، وأحلم بعرسه سريعا ليمكنني الرقص في عرسه، فيجيبها فهد (يا أم بندر هل مازال لك طاقة بعد كل هذه السنين للقيام بأعباء العرس) فتجيب سماهر بابتسامة (لازلت بجمالي وأناقتي ولست ممن يعجزون عن صعود السلم) فينهض فهد مسرعاً ويقول (سأريك من الأسرع بهذه القفزة على السلم) وراح يركض للصعود ولحقته سماهر لتبرهن له أنها لا تزال قوية وأصوات ضحكاتهم تتردد بزوايا المنزل ....

■ ■ ■

فهد وسماهر يعانون من التعب في قضاء حاجاتهم المعيشية، ولكنهم ينسون ذلك التعب في سبيل عدم تعطيل أبنهم من الاستمتاع بوقته مع أصدقائه، فكان من بندر بأن يواعدهم بالذهاب وكثيراً ماينتظرونه بالوقت المحدد بعد أن يجهزوا، ولكن يخيب أملهم بعدم حضورة ولا مبالاته حتى بالإتصال بهم والإعتذار، كثيراً ماكانت تطلب منه والدته الذهاب لقضاء بعض الحاجات الضرورية للمنزل لكن يقوم بتأجيل ذلك حتى يملوا الإنتظار ويضطرون للذهاب على الأقدام لأقرب فرع لقضاء حاجيات المنزل، حتى أضطروا لجلب سائق يقوم بمهمة الأبن، فهد حاول تقليص الفوهة الشاسعة التي أصبحت بينه وبين أبنه، حين رأى بندر يخرج من المنزل بعد تبديل ملابسه فصرخ عليه ليجلس معه

– ألا تشعر يا بندر بنا، ألا تشعر بأن لك والدين يعشقون مداسك.
– أبي هون عليك ماذا فعلت حتى تقول لي ذلك، ألا يكفي أنني أعمل من الفجر حتى الظهر، أتبخل علي بقليل من الفسحه مع أصدقائي
– فارتفع صوت فهد: يا أبني أنا أبوك مالذي يمنع إستمتاعك وفسحتك معي.
– فارتفع صوت بندر معه : ولييييييييييييييين ، يبا هذا وقت محاضرات الحين وحسابات خلني أرجوك بطلع وبعدين الله يسلمك أنتوا تحتاجون راحة ومابي أتعبكم معي، وينكم ووين الطلعات.
– فتأثر فهد بحديثه: أوتستهزء بالجلوس معنا؟ قل لي أين تريد أن نذهب، فنذهب معك، قل لي والله أذهب معك ونستمتع معاً.
– يبه أرجوك وين أروح يعني أنا، الشغل والديوانية ولا نروح جم قهوة نستانس فيهم يعني شلون نروح مع بعض، والشباب ياخذون راحتهم إذا بتروح معاي أنت يعني أسمحلي بتكون الجلسة رسمية يبه .
– ففرقت عين فهد: إلى هذه الدرجة تلتزم معهم دون والديك؟ ونحن ألا نحتاجك معنا لتجلس وتسولف وتسامرنا.
– أبي لا تزعل مني أرجوك ولكن أصدقائي بنفس عمري وتصرفاتهم قريبه من تصرفاتي، خلوني على راحتي وأنا ماشي تأمرني بشي .
– أراد فهد أن يستعمل الشدة (فصرخ بوجهه) : أنا آمرك بأن تجلس هذا اليوم في المنزل، ولن تخرج وهذا آمر
– أستشاط بندر غضباً (فعلا صوته) : لماذا تكلمني هكذا، لست بالطفل حتى تقوم بتوبيخه بهذه الطريقة وأنا مسؤول عن نفسي وأكرر بأن لي خصوصيتي.

فخرج بندر مسرعاً ولم يكترث بصراخ والده الذي كان يناديه بكل مافيه، فوقع والده على الأريكة ينفث زفيراً جديداً في حياته، هل هذا بندر الذي انتظرته؟ هل هذا الذي جعلته حلماً مستقبلياً لي؟ لماذا يا بندر أدخلت رأس خنجرك بعلاقتنا، أتحاول قطعها؟ فتدخل سماهر وهي تقول لن يستطيع يا فهد صدقني، فإبننا لا يزال مراهقاً ولا يعرف ما يقول أرجوك هون عليك أرجوك لا تفعل هكذا بنفسك.

سماهر لم تفقد الأمل وأقترحت أن تذهب للعمرة بعد عدة شهور من فعلة بندر لأبيه، ذهبت لتطلبه أن يذهب معها أبنها للعمرة وهي بنفس الوقت تطمح بأن تكون هذه بوادر الهداية لبندر وأن تدعو له في المسجد الحرام، حاولت مراراً وكان دائماً يؤجل السفر لبعض المشاغل، (ولكن لكون سماهر امرأة، فلن يكون صعباً عليها أن تقنع رجلاً) حتى وافق بندر بشروط وهي أن تكون مدة السفر يومين وبالسيارة حتى يعودا مبكراً، رغم ذلك وافقت سماهر على الله أن يهدي أبنها بهذه السفرة، استأذنت زوجها بالذهاب مع بندر للعمرة وأقترح أن يرافقهما، ولكن رفض بندر بعذر أنهم إذا ذهبوا مع بعض فستطول الرحلة وهو مستعجل ووعد والده بسفره خاصة، كتمها فهد بصدره وتأملت خيراً سماهر وقالت ((عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيراً لكم))

ذهب بندر بعد أن وعد والدته بالسفر صباحاً والاستعداد لذلك ، ذهب في المساء لأصدقائه وأبلغهم بالسفر وعاتبه البعض لأنه رفض أن يسافر معهم بحجة العمل ولكنه برر ذلك بأن سفرته لن تأخذ أكثر من يومين، بذلك أقنعه أصدقائة بأن يجلس معهم كونها ليلة السفر ويستمتعون بوقتهم قبل أن يغادر، فلم يستطع أن يردهم وجلس حتى الصباح.

عاد للمنزل فوجد والدته مستعده وتجلس في صالون المنزل بحقائبها تنتظره، وعند دخوله اكتشفت أنه لم يبيت تلك الليلة فرفضت السفر معه، ولكنه أصر على الذهاب لأن إجازته يومين فقط وقال إن لم نذهب الآن فلن نسافر بعدها، فرضخت الأم وتضع كل أملها بولدها بهذه السفرة وأن الله لن يخيب أملها بالدعاء، وتردد اللهم أجعل سعينا لبيتك الحرام سبباً لهداية أبني ، اللهم أجعل سعينا لبيتك الحرام سبباً لهداية أبني ...

خرجوا بسيارتهم حتى بدا النعاس يغلب عليه ويتغلغل في عينيه، بعد أن واصل المسير لمسافة ١٠٠٠ كيلوا متراً، بدأ التعب واضحاً في عينيه وهو يقود السيارة، حاولت والدته إقناعه بالراحة لبضع ساعات ولكنه رفض بحجة الوقت القصير، واصل المسير، بدا يغفو ... ثم أنحرفت سيارتهم عن الطريق حاول الإمساك بالمقود لكنه بالوقت غير المناسب ، حتى تعثرت بعد إنحرافها وبدت بالإنقلاب لعدة مرات مما أدى لفقد ركابها لوعيهم ....

أنها هناك نعم، يحاول الوصول للباب الآخر للوصول لوالدته في السيارة المقلوبة ،هذه الأم التي انتظرت أعواماً دون الإنجاب لترى بندر أمامها في هذه الدنيا، هذه الإنسانة التي وهبت روحها لابنها، تعلقت بنسماته، تبيع كل ما تملك من أجل ابتسامته، يأتيها الآن وهو يكتسي بلون الدماء اللون الأحمر هو ذلك اللون الذي كان يلبسه حين كان في حوض السباحة عندما أنقذته، والتي تدعو طوال الرحلة بـ (اللهم أجعل سعينا لبيتك الحرام سبباً لهداية أبني) ، هذه الإنسانة محبوسة في هذا الصندوق الحديدي، أقترب بندر لا يعرف ما يفعل ، فيرى والدته خرج نصف جسمها من الشباك الأمامي للسيارة ونصفها الأخر بالداخل، حاول أن ينقذها، وضع يداه التي كانت تداعب خصلات شعرها، وضعها حيث كان يضع رأسه على كتفها، حاول شدها ببطء للخروج من هذه السيارة، أفاقت والدته وصوتها محبوس بداخلها لا تستطيع رفع لسانها من شدة الضربات المتتالية التي أتتها من انقلاب السيارة، حاول شدها ولكنه وجد صعوبة بذلك، أعتقد بأن قوته لم تسمح له وزاد من قوته في شدها، وأمه تحاول أن تقول له بأن قطعة زجاجية مكسورة تعلقت بخصرها تمنعها من الخروج، ولكنها لم تستطع الكلام، وبندر يحاول إنقاذها خوفاً من حريق السيارة بعد انقلابها، المكان مجهول مظلم أتربه من حولهم، يشدها مرة أخرى بندر حتى فقدت وعيها، أنتفض وصرخ ثم شدها بقوه حتى جرها جراً للخارج وكان يتبعها سيل أحمر بدماء من أنجبته... شاهد بندر هذا المنظر فلم يحتمل حتى دارت به الأرض فوقع.

فشاهد أنه يجري في صحراء قاحلة ليجد باباً ينبع الخير ورائه فحاول الوصول إليه، حتى أقترب منه ليدخله، ولكنه أغلق الباب قبل وصوله، فلم يجد حوله سوى صحراء قاحلة وباب أخر يجاوره فستبشر خيراً وهم بالتحرك له إلا أنه أفاق فجأة يصرخ، فوجد أباه يجلس جانبه وهو على سرير المشفى، فسأل عن والدته، فأخبره أبوه بوفاتها، فكانت هي الباب المغلق ولم يبقى له سوى الباب الأخير ليبر بوالده، فنهار بندر من جديد، فما كان منه سوى استغلال هذا الباب والحفاظ عليه واستجابة دعاء أمه.

راشـد الفهـد

أمي وأبوي..

صحبتهم جنة

أمي وأبوي ..

صحبتهم جنة

الوطن

الأولى للاستثمار FIRST INVESTMENT

Al-Abbas Holding Company

المجموعة الخليجية

بيت الاستثمار الخليجي Gulf Investment House

ذي كاسل The Castle

almadar المدار

أعيان

سوق.com

Brand

banta

ركاز

أرسل "ركاز" إلى 96993 SMS 5355787

rekaaz.com